

المنهج السينوي في الفلسفة السياسية ومبادئه

أبوالفضل شكوريراد^١

تاريخ القبول: ١٤٢٦/١٠/١٩

تاريخ الوصول: ١٤٢٦/٤/٢١

أبوعلي حسين بن عبدالله بن سينا (٤٢٨ - ٣٧٠ ق) من أعظم فلاسفة العالم الإسلامي بل العالم كله وله بنية فلسفية مشيدة كاملة، كما له أيضاً تيار إختصاصي في الفلسفة السياسية والحكمة العملية، ولكن مع الأسف غفل أكثر الباحثين عن هذا الموضوع و زعموا أن ابن سينا لم يحظ من آية منهج و مشرب في الفلسفة السياسية و قالوا في هذا المجال ما قالوا. و تأتي هذه الغفلة من عدم إتفاهم إلى المنهج السينوي الخاص و مبادئه في مطاردة و إصطياد المباحث السياسية في الفلسفة. هذه الدراسة تهدف الإلمام بهذا الموضوع و إكتشاف ذلك المنهج المغفول عنها.

الكلمات الرئيسية: ابن سينا، الفلسفة السياسية، المنهج السينوي، مبادئ ابن سينا في الفلسفة السياسية

الجزئية مما لم يتصوره أحد في سالف الأزمان، ففي الطب لدينا اختصاصات مختلفة، من القلب، والرئة، والدماغ والأعصاب، والأذن، والعين، بل اختصاصات أضيق دائرةً من ذلك بكثير من قبيل آلام المفاصل، ومن بينها الركبة، واليد

تقديم و تهيد

غدت العلوم في عصرنا - إضافةً إلى التبسيط - تخصصيةً حتى الفلسفة ذات الطبيعة العصبية عن التجربة أصبح حالها على هذا المنوال، ولربما كانت هذه التخصصية أحياناً بالغة

١. استاذ مساعد بجامعة اعداد المدرسين، طهران

الزاوية التي تتحدث عنها، لا بل لعل من الأفضل القول: إنها لم تدل - بشكل جاد - رعاية ولا اهتماماً.

ومن الضروري أن نصرّ هنا أن المقصود من مصطلح "الفلسفة السياسية" عين ما انت عنده الفلاسفة من قديم الأيام وهو "العلم المدني" أو "سياسة المدن" من الحكمة العملية.

وقد غالب على تحليل مؤرخي العلوم والعلماء دراسة نتاجات ابن سينا وأفكاره في مجال الفلسفة الطبيعية، وعلم الطب، والمنطق، والميتافيزيقيا، دون إعارة حكمته العملية وفلسفته السياسية اهتماماً جاداً، الأمر الذي أدى إلى بقاء الوجه المدني والسياسي لفلسفه ابن سينا طي الكتمان، كما أفضى إلى التورّط في أحكام بعيدة كلّ البعد عن الواقع ولا أساس لها بتاتاً، إلى الحد الذي أوقع بعد أصحاب القلم ومشاهير بلادنا المعروفين في التباس واشتباه، فتصوروا أنّ ابن سينا لا يملك فلسفة سياسية، لقد حكم هؤلاء في هذا الموضوع حكماً شططاً دون التوغل في نتاجات هذا الفيلسوف وآثاره، كما ودون الأخذ بعين الاعتبار البحوث السياسية التي انطوت - متناثرةً - في ثنايا كتاباته الفلسفية المختلفة، ودون - أيضاً - ملاحظة البناءات العامة لفلسفته السياسية، تلك البناءات القادرة فيما لو أعمل التأمل والتحقيق فيها على إنتاج نظام فلوفي - سياسي جامع.

ويمكن تصنيف صاحب كتاب "الدين والعلم في فتح الاستبداد" واحداً من هذه النماذج المشار إليها، إنه يعتقد بأن: ((أبو علي سينا - رغم هذه العظمة كلّها - لم يبذل أدنى جهد في ممارسة تأمل فلوفي في السياسة))^٣ والحال أنه يمكن القول بضرس قاطع: إنّ الأبحاث الفلسفية لابن سينا في مجال السياسة وتشييده أساسها وقواعدها وفق القواعد الفلسفية كانت أكثر دقةً حتى مما قام به أبو نصر الفارابي بوصفه أب الفلسفة السياسية في العالم الإسلامي، بل لقد كان ابن سينا في بعض الحالات أقرب إلى القواعد العقلية والحقائق الاجتماعية. نحن نظنّ لقد تغافل الباحث عن الموضوعات السياسية التي

و.. وهكذا الحال في الفلسفة، فقد بات هناك فيلسوف أخلاق، وآخر متخصص في المنطق، وفيلسوف سياسة، وفيلسوف تاريخ .. بل الحال على هذه الشاكلة في سائر العلوم الأخرى أيضاً.

أمّا في سالف الأزمان، فقد كان الحال على خلاف ذلك تماماً، إذ كانت العلوم أكثر محدوديةً وأقلّ عدداً، ومن ثم كانت أكثر ارتباطاً والتئاماً فيما بينها، ففي علم الطب، ربما لم يكن هناك أزيد من اهتماصين أو ثلاثة تقسّم بالاستقلال والتمايز، وذلك مثل: الكحالة (طب العيون)، والصيدلة (علم الأدوية وصنعها)، والجراحة (الطب اليدوي)، من جهة أخرى، كانت العلوم المختلفة مستبطة في عنوان جامع يستوعبها برمتها، ألا وهو ((الحكمة)) أو ((الفلسفة))، من هنا وجدنا طلاب العلوم هادفين لكتسب سمة الجامعية والاستيعاب، وقد بلغ الرادة منهم ورجال النخبة مقاماً سامياً، لم يكن يدعو سوى إلى الغبطة والإعجاب، وقد باتوا يعرفون اليوم - وفق اصطلاح مؤرخي العلوم - بلقب الفيلسوف أو العالم، كما كان فيلسوف العلماء عادةً صاحب رؤية خاصة في مختلف العلوم العقلية السائدة، مؤلفاً كتباً ورسائل فيها.

أبو علي ابن سينا، أحد هؤلاء الفلاسفة العلماء^٤، بل الرائد فيهم، بوصفه الشيخ الرئيس، وأستاذ الفلسفة الإسلامية، وعلى حد قول الأوروبيين: أمير الأطباء.

من هنا، كانت لابن سينا نتاجات مدونة كثيرة، صغيرة وكبيرة، في مختلف العلوم العقلية، ومن بينها الأنواع الثلاثة أو الأربع للحكمة العملية وفق الرأي الأخير لابن سينا نفسه، وإذا كانت لديه منظومة فلسفية وبناء فلوفي لم يستطع - طبيعةً - أن لا يترك في الأخلاق، والعائلة، والاقتصاد، والسياسة، والتقنيات أثراً ولا نتاجاً.

إن الاستدعاء الطبيعي القهري لوجود منظومة فلسفية ظهرت مثل هذا النتاج وتلك الأفكار، إلا أن المنظومة الفلسفية لابن سينا لم تحظ - حتى الساعة - سوى باهتمام ضئيل من

وقد اشتغل ابن سينا باكتشاف فلسفته السياسية وكتبيتها وبنيتها وتبثيت أركانها في فرع مستقلٌ من الحكم الطبيعية يسمى ((علم النفس)), كما تحدث حول السياسة في بعض فنون علم المنطق.

ويبدى ابن سينا في بداية كتابه القيم ((الشفاء)), وهو يسرد فيه مباحثه ويستعرضها، أنَّ الكتاب ينتهي ببحث الإلهيات وما بعد الطبيعة، ثم يختتم هذا البحث بعرض جملة موضوعات حول الأخلاق والسياسة، ثم يُعدُّ ابن سينا - عقب ذلك - قارئه بأنَّه سوف يصنف في مجال السياسة كتاباً جاماً مستقلاً يفرده عمّا سواه، إنه يقول:

((ثم ختمت الكتاب بالعلم المنسوب إلى ما بعد الطبيعة، على أقسامه ووجوهه، مشاراً فيه إلى حُمَّلٍ من علم الأخلاق والسياسات، إلى أنْ أصنف فيها كتاباً جاماً مُفرداً)).

ولا نعرف، على سبيل اليقين، ما إذا توفرت الظروف لابن سينا للقيام بذلك أم لا، وهل أبخر تدوين ذلك الكتاب المفصل المنظور له في علم الأخلاق والسياسة، كما وَعَدَ، نعم، ثُمَّة كتاب لابن سينا يحمل اسم ((السياسة)), وهو كتاب متوفّر حالياً، بيد أنه مختصر لا يعدو الرسالة الواحدة، وتدور بحوثه الرئيسية حول فلسفة الأخلاق، وتدبير المنزل والاقتصاد، كما اختصَّ قسم منه لمعالجة سياسة المدن والرئاسة، فهل كان هذا الكتاب هو ما وعدنا به ابن سينا في مدخل شفائه أم كان مختصرًا له ومنتخبًا منه فيما فقد الأصل وضاع عنَّا؟ لا يمكننا في هذا المضمار إبداء رأي دقيق وحاسم، إلا أنَّ ما يedo لنا أنَّ الكتاب الموجود بين أيدينا اليوم ليس هو ذلك الكتاب الذي وعدنا به، كما أنه ليس قسماً منه أيضاً.

والمنهج الذي اتبّعه ابن سينا يقوم - نوعاً - علىربط موضوع النبوة والسياسة بعضهما البعض في فلسفته، ولذلك وجدنا كتبه المستقلة التي صنفها حول النبوة مثل: رسالة إثبات النبوة، و معراج نامه وغيرهما ذات صلة وارتباط بموضوعي السياسة والرئاسة، وليس سياسة المدن وحدها التي لاحظنا اندراجها في نتاجات ابن سينا بالحلقات وموضوعات النبوة،

أثارها ابن سينا، انطلاقاً من قلتها قياساً إلى الكِمِّ الهائل من الموضوعات السينوية في الأبواب الفلسفية الأخرى، ولذا اعتقد بأنَّها محض إشارات عابرة، ومن ثم لم يجهد نفسه في التأمل - على الأقل - في ذلك المقدار الموجود في كتاب ابن سينا كالشفاء والنجاة ودانش نامه اى علائى، ليقدم - عبر ذلك - حكماً أكثر واقعية وإنصافاً في حق الفلسفة السياسية لابن سينا، بينما وأنَّ تلك المقالات الموجودة في الشفاء والنجاة كلَّ واحدة منها توازي - من حيث الكِمِّ - بعض الرسائل الهمامة للفارابي في السياسة، كما أنها على أي حال تعكس - من ناحية المضمون - أسس الفلسفة السياسية السينوية، وهذا ما يجعل من غير الصحيح تجاهلها تماماً في كتاب هام يُراد به رصد تطور الفكر السياسي عند المسلمين، ذلك أنَّ الفلسفة السياسية لابن سينا - وكما سيتضح من خلال هذه الدراسة وبين - قد دوَّنت على نسق خاص، كما توزَّعت في مطابوي آثاره ونتاجاته، ومن ثم فلا يتَسَنى الوصول إليها إلا عبر اتخاذ آلية خاصة مسبقة، كما أنَّ كتابات ابن سينا المتفرقة في الحكمة العملية تملك هي الأخرى أهميتها ومكانتها الخاصة بما بحيث لا يمكن غض الطرف عنها.

يعتقد الدكتور حسين نصر - أحد أبرز الشخصيات الدارسة لابن سينا - أنَّ ((ابن سينا قد كتب رسائل هامة في اللغة، والقواعد، والمفردات، كما خصّص عدداً كبيراً من صفحات كتاب الشفاء لدراسة السياسة والاجتماع))^٤.

لقد خاض ابن سينا عملياً طوال حياته المليئة بالأحداث عالم السياسة، حتى ارتقى بالغاً مقام الندامة، والوزارة، ومشاورة سلاطين عصره، ومن الطبيعي أنه لم يكن على قطيعة موضوع الفلسفة السياسية، بل أشار في آثار متعددة له إلى هذه الموضوعات عند أدنى مناسبة، بل لقد خصّص في بعض الأحيان بحثاً مطولاً لها ضمن موضوعات لا يتوقع فيها فعل ذلك، مثل الحكمة الطبيعية والمنطق، كما يرشد إلى ذلك حديثه عن أنواع السياسة وفوائده كل واحد منها في طبيعتها عيون الحكمة^٥.

على شبه ما هو موجود عند الحكيم الفارابي، فإننا سنواجه شحّاً أو ضآلة في استخلاص النتائج والمعطيات، فقد نشر ابن سينا فكره السياسي في بنية المنظومة الفلسفية التي كونها، بل لقد عالج قسماً من موضوعات السياسة في الحكم المشرقية، بل في بطون نتاجاته الرمزية الفلسفية - العرفانية من نوع: رسالة الطير، وهي بن يقطان، وسلمان وإسال، ورسالة النير وزيبة، والفصل في ثلاثة الأخيرة من كتابه ((الإشارات والتبيهات)) وأيضاً في

بنية المباحث المنطقية كمبحث فن الخطابة.

والذي يشاهد في فلسفة ابن سينا السياسية - كما يلاحظ من القسم الأخير بل وحتى السطر الأخير من إلهيات الشفاء - أنه أعرض وناً بجانبه شاعراً بخيبة الأمل حيال السياسات القهقرية الرائفة التي كانت سائدة في عصره، لي نحو ناحية السياسة المعنوية التي تعمل على تهذيب البشر وإسعادهم، ليتمكن - عبر ذلك - إعمال تعاليم الأنبياء الحكيمية، وهم من كان يشغرون منصب ((الخليفة لله)) على وجه البسيطة، ومن خلال ذلك أيضاً يمكن تقديم السعادة الخالدة للنوع البشري.^٨

لقد عالج ابن سينا رؤاه المدنية والسياسية - وهو ما يشكل الحكمة العملية عنده - ضمن قوالب أربعة مختلفة، وهي:

- ١ - داخل إطار النظام التربوي للعلوم.
- ٢ - داخل المنظومة الفلسفية السينيويّة.
- ٣ - ضمن حكمته المشرقية وآثاره الرمزية.

٤ - ضمن رسائل ونتاجات مستقلة ومفردة، صنفها في أبواب الحكمة العملية.

٥ - ضمن مباحث علم المنطق في فن الخطابة والجدل.
نبحث هنا حول القوالب الثلاثة الأولى على وجه مستوعب ونحو الكلام عن الآخرين إلى مقالة مستعملة. ونكتفي بتلقيت نظر قراء الكرام باشارة موجزة إليهم.

١- إطار النظام التربوي للعلوم

تعدّ فلسفة العلم - بوصفها آلة لدراسة المنهج وتنظيم العلوم وتكوين بنائها العام وعلاقتها - الحجر الأساس لقصر الفلسفة

بل، تداخلت أيضاً مقالاته ورسائله التي دوّها حول العقل والنفس، مما يحسب على مباحث الحكم الطبيعية والإلهية، مع السياسة ومواضيعها وأخذت بالتمازج عن طريق مطاولة موضوع النبوة، والتشريع، والقانون

وهذا ما يعني أنه لا يمكن في ميدان دراسة الفلسفة السياسية لابن سينا تجاهل مباحثه في التفوس والعقول أو توهم الاستغناء عنها.

لقد تنوّعت نتاجات ابن سينا في السياسة والحكمة العملية، من المباحث البرهانية الخضة، مروراً بالموضوعات الدينية - الفلسفية مثل ((معراج نامه)), ورسالة في النبوّات، وصولاً إلى ما احتوته الرسائل السياسية من قبيل ((ظفر نامه)), فعبر المرور على هذه الآثار والأعمال ودراستها برمّتها يمكن التعرّف على الفلسفة السياسية لابن سينا واكتشاف مكوناتها وعنابرها، وما قام به ابن سينا من فعل وبذله من جهد، كما أشار الدكتور ذيبيح الله صفا إلى بعض هذه الرسائل السينيويّة في كتابه^٩.

ولكي نتوصل إلى وعي الفلسفة السياسية لابن سينا يلزم منا البحث والتنقيب في جملة بنائه الفلسفية على قاعدة السعي لاكتشاف نظرياته السياسية فيها، ومن بين هذا الجهد ينبغي التركيز - بصورة مضاعفة - على نتاجاته المتركزة حول الحكمة العملية، وتحليل مختلف المصطلحات والمداخل ذات الصلة بالمادة المدروسة تحليلًا جدياً ومرتكزاً، من قبيل: العقل، والعقل الفعال، والعقل المستفاد، والعقل بالفعل، والنفس، والنفس الناطقة، والعنابة، والنبوة، والعقل القدسي، والعقل الملكي، والستة، والسان، والسياسة، والرئاسة، والناموس، والشارع، وواضع الناموس، والعدل، والمعدل، وحسن الایالة، والحربيّة، والديمقراطية، والسعادة، والشقاوة، والخير، وسياسة الأخيار، والفضيلة، والمدينة الفاضلة، والمدينة الرديئة، والمشاركة، والتعاون، وغيرها مما هو موجود في آثار ابن سينا وأعماله.

إذا سعينا - في إطار اكتشافنا للفلسفة السياسية لابن سينا - إلى ملاحقة النتاجات المستقلة والرسائل الخاصة بالموضوع

إطلاقاً إلى موقع علم المنطق وسط هذه العلوم، كما يعرض الحكمتين النظرية والعملية في السياق الأرسطي المعروف لهما حيث يضعهما في أقسام ثلاثة، أي أنه تقسم الحكمة العملية إلى العلم المدنى، والعلم المنزلى، والعلم الخلقى، فيما تشرط الحكمة النظرية إلى كلٌ من الطبيعيات، والرياضيات، والحكمة الأولى، التي تعدّ الحكمة الإلهية - على حد قول ابن سينا نفسه - مجرد قسمٍ من أقسامها، لكن ابن سينا لا يشير في هذه الرسالة أبداً إلى فروع الحكمة الرياضية وأقسامها، مع تقسيمه الحكمة الطبيعية إلى أقسام ثلاثة كلية وعامة دون ممارسة تفكيرك، وإنما يسرد ذلك عبر نصٍّ طويل متصل، كما دون أن يعنون الفصول الصغيرة والفروع الجزئية وما ينضوي تحتها من مجموعات، إلا أننا عبر مطالعة النصّ السينيوي المشار إليه تمكناً من استخراج فروع الحكمة الطبيعية منه، ووضعنها في رسم بياني يلحوظه القارئ الكريم، وذلك لكي يتسىّر مقارنة التقسيم الذي استخدمه ابن سينا هنا مع تقسيمييه الآخرين في أقسام العلوم العقلية ومنطق المشرقيين.

على آية حال، تعرض ابن سينا في هذه الرسالة التي تدور حول الحكمة الطبيعية لتعريف علم السياسة وذكر فوائده، وأنواع الحكمة العملية، وذلك في أواخر الرسالة، وبعد تقديمها ببحث فلسفى عميق ومبانى في علم النفس، ينهى ابن سينا مباحثه في علم السياسة، معتبراً النبوة منشأ السياسة، والأنباء هم المتولون الأصليون للمجتمعات البشرية.

ولكنا إعراضًا عن إطالة الكلام بختب عن نقل نصٍّ كلام ابن سينا في هذا المجال ونرجع القاريء الكريم إلى محله في رسالة طبيعيات عيون الحكمة^{١١}.

أبدع ابن سينا في رسالته في أقسام العلوم العقلية منهجاً أكثر دقةً في تقسيم العلوم وترتيبها، واضعاً المنطق - بوصفه علمًا آليًا أو حكمةً آلية - ضمن علوم الحكمة، مما يجعل أنواع الحكمة وفقاً لهذا الترتيب ثلاثة: الحكمة النظرية، والحكمة العملية، والحكمة الآلية.

والعلوم الرفيع، ليس من العهد القريب فقط، بل ومن قديم الأيام أيضاً، إنها مفتاح الدخول إلى ذاك القصر المهيّب.

لقد سعى الفلاسفة المسلمون لبناء نظرياتهم وأفكارهم على أساس هذا الإطار التنظيمي، وقد ترکّز نتاجهم المتصلة بهذا الموضوع تحت عناوين من قبيل: إحصاء العلوم، وأقسام العلوم، ومفاتيح العلوم وما شابه ذلك، وبعبارة مختصرة: علم الإحصاء.

وقد كان ابن سينا أحد الذين خطوا في هذا الوادي الرحب خطوات وثابة، فدون كتابه: ((أقسام العلوم العقلية)), معرفاً - لأول مرة - بعدد العلوم العقلية والفلسفية ضمن كتاب مستقلٍ وخاص، حتى بلغ بها ٥٣ علمًا، وقد أسهب ابن سينا في هذا الكتاب في الحديث عن علم السياسة ومكانته بين العلوم العقلية، كما تحدث بشكل مختصر عن أقسام العلوم وتنظيمها الرتبي في مواضع متفرقة من كتاب الشفاء، مستعرضاً - بالقدر المناسب - الحكمة العملية وأنواعها^{١٢}.

وقد ذكرنا هنا ثلاثة تقسيمات للعلوم العقلية في كتبه الثلاثة، مستحضررين - بصورةٍ أكمل - القسم المختص بالحكمة العملية، حيث تستبين منه تلقائياً مكانة السياسة وموقعها، والكتاب الأول من هذه الكتب هو رسالة الطبيعيات من عيون الحكمة، أما الثاني فهو رسالة أقسام العلوم العقلية، فيما الثالث مقدمة كتاب منطق المشرقيين، ومنها ننقل ما يلزمنا هنا.

ويمتاز التقسيم الثاني عن الأول بموا仄 واضحة وملمسة، أما الثالث الذي جاء في منطق المشرقيين فهو مختلف من تمام الجهات تقريراً عن صاحبيه الأول والثانى، وهو - أي منطق المشرقيين - من آخر ما صنّفته يراع ابن سينا في الفلسفة.

يعرّف ابن سينا في طبيعيات عيون الحكمة كلاً من الحكمة والفلسفة أولاً، ثم يتحدث - ضمن تقسيمه لهما إلى فرعين: نظري وعملي - عن الفلسفة السياسية، محدداً مكانتها ومركزاً لها من هذا التقسيم، ولا يشير ابن سينا في هذه الرسالة

أنّ ابن سينا في هذا القسم الكبير من الإثارات والأفكار الأساسية والبنائية التي تعود إلى أقسام الحكم العملية، وعلم السياسة، وكيفية ارتباطه بظاهرة النبوة. و لابن سينا في هذا المجال نصوص شاملة في الرسالة العلوم العقلية، يلزم الرجوع إليها وفهم من تلك النصوص^{١٣} أنه لأول مرّة في تاريخ الفلسفة - كما يلاحظ - نرى ابن سينا يعتمد فيها.

إلى تقسيم الحكم العملية والمعارف السياسية إلى ثلاثة فروع، وسوف نرى لاحقاً عما قريب أن ابن سينا قد أبحز عمله هذا بصورة أكمل عبر تنظيمه الفروع بجعلها أربعة بدلاً عن ثلاثة، ذاكراً لكل فرع منها مثالاً وأنوذاجاً من نتاجات فلاسفة اليونان الكبار ومصنفاتهم.

حتى الفارابي، وهو أب الفلسفة السياسية في العالم الإسلامي، لم يتمكّن من ترسيم الحكم العملية بمثل هذه القوّة في التنظيم، والبساطة في الأسلوب، والظرافة في البيان.

المسألة الأخرى التي تشاهد في تقسيم ابن سينا المذكور والتناسب القائم فيه بين العلوم العقلية، إرجاع الفلسفة السياسية إلى ثلاثة أبعاد، أو تثليث وجهاتها، وهو ما أفضى إلى حصول التباس لدى بعض الباحثين الإيرانيين^{١٤} نتيجة عدم الدقة والتائني في رصد المنظومة الفلسفية السينوية، بتمام آثارها ونتاجها، إذ اعتقدوا أن ابن سينا قد أوكل أمر السياسة إلى الفقهاء ورجال الشريعة، معتبراً الفلسفة كائناً طفيليّاً بالنسبة إلى ذلك، مما جرّ إلى انزوائهما وانطوائها، بينما لا نجد الأمر كذلك إطلاقاً، فإنّ ابن سينا يعتقد أنّ الرئاسة والحكومة على وجه الأرض إنما تكون للنبي أو السان، وهو صاحب الشريعة والإنسان المعصوم على تقدير وجوده، وذلك بصورة طبيعية وتلقائية، أما في حالة غياب النبي والرجل المعصوم، فإنّ ابن سينا يرى الأفضل - وحتى الواح - أن تمسك بأمر السياسة والرئاسة إدارة عليا في الاجتماع البشري وفي المدينة تتبلور على شكل شوري وجماعي، وتتكتون عناصرها الأساسية من الفيلسوف والحكيم المتأله، ومن الفقهاء وأعلم العلماء في الشريعة، إضافةً على أهل المشورة من أبناء المدينة المتخصصين

للحكمة الآلية أو علم المنطق بدوره تسعة فروع وأقسام أساسية، يعد كل واحد منها علمًا مستقلاً في حد نفسه، وقد ربط ابن سينا فرعين من هذه الفروع التسعة بعلم السياسة، وهما: فن الخطابة، وفن الجدل.

وقسم ابن سينا أيضاً الحكم النظرية إلى ثلاثة أقسام، مطلقاً عليها أسماء العلم الأسفل أو الحكم الطبيعية، والعلم الأوسط أو الحكم الرياضية، والعلم الأعلى أو الحكم الإلهية^{١٥}، وبذلك يكون ابن سينا قد وضع مفردة الإلهيات أو العلم الأعلى مكان مصطلح ((الحكم الأولى)) الذي جاء في رسالة طبيعتيات عيون الحكم.

وانطلاقاً مما تقدم، يشرع ابن سينا في تقسيم العلوم العقلية وترتيبها بصورة دقيقة، فيبلغ بها - نهاية المطاف - ٥٣ نوعاً، يصنف سبعة منها جزءاً من العلوم السياسية والعملية، لتبلغ تسعة علوم، بالإضافة كلٌ من فن الجدل وفن الخطابة.

أما العلوم السبعة المشار إليها، فتتفرّع بدورها إلى فروع ثلاثة، تمثل الأقسام الثلاثة الرئيسية للحكم العملية وهي: سياسة المدن، وتدبير المنزل، وتحذيب الأخلاق.

والحكم الإلهية قسمان فرعيان، يطلق عليهمما اسم: علم معرفة النزول أو علم الوحي، وعلم المعاد أو علم السعادة والشقاوة الإنسانية، كما أن الحكم الإلهية أيضاً قسمين رئيسيين، يطلق عليها اسم: علم الجوهر الروحانية، وعلم تسخير الجوهر الروحانية وشكل ارتباط الأرضيات منها بالسماويات، وعلى المثال عينه، يطلق على أحد العلوم الطبيعية الأصلية اسم: علم النفس، وهذه العلوم تمثل علماً مشتركاً ما بين الحكم الطبيعية والحكم العملية، حيث أكثر ابن سينا من الحديث عنها، معتبراً الأنبياء أحق وأفضل الساسة طبقاً لقاعدة ((تفاضل الأسباب في الصور المادية)), وقد تحدث ابن سينا أيضاً في بياناته الملحة أواخر كتاب الشفاء عن الأنبياء، حين اعتبرهم المسؤولين عن تنظيم أمور معاش الناس ومعادهم، ووصفهم بأن لهم مقام ((خليفة الله)) على وجه الأرض.

على مر العصور موضع حاجات البشر، لا يمكن تناسيها أو التغافل عنها.

بعد ذلك، يقسم ابن سينا العلوم الحقيقة الثابتة إلى قسمين: أصلي، وفرعي تبعي، ويقول: لست في كتاب حكمة المشرقيين هادفاً التعريف أو التدوين في مجال العلوم الحقيقة الت汴ية الفرعية، من قبيل علوم الطب، والزراعة، وعلوم النجوم الجزئية، إنما هدفي العلوم الثابتة الباقية الأصلية، ويضيف ابن سينا أن علم المنطق الذي يمثل الأداة المعيارية لسائر العلوم يصنف واحداً من العلوم الحقيقة الأصلية الثابتة، إنه علم آلي أداتي يهدف إلى فهم سائر أقسام الحكمة وأجزائها، ويرى ابن سينا أن هذا العلم متى عندنا نحن المسلمين بعلم المنطق، ولربما يطلق عليه عند ملل أخرى أو أقوام اسم آخر غير هذا^{١٨}.

ويردف ابن سينا كلامه المتقدم بالقول: إن قسماً من الحكمة الحقيقة الأصلية عند أهل زمانه يسمى بالعلم النظري، فيما يسمى القسم الآخر بالعلم العملي، وكل واحدٍ من هذين القسمين ينطوي دوره إلى أربعة أجزاء، فأقسام العلم النظري أربعة، ذلك أن المعاني والأمور النظرية على أربعة أنواع، وعليه فلكل واحد منها علم، وقد جرت العادة على تسمية الأول منها بالعلم الطبيعي، والثاني بالعلم الرياضي، والثالث بالعلم الإلهي، والرابع بالعلم الكلّي^{١٩}.

والمقصود بالعلم الكلّي، ذاك العلم المتعلق بالموجودات التي ربما تختلط المادة حيناً وربما لا تكون كذلك حيناً آخر.

ولم يسبق أن قسمت العلوم النظرية هذا التقسيم الرباعي قبل ابن سينا، فهو مبدعه ومبتكره، تماماً كما يصرّح هو بالقول: ((وإن لم يكن هذا التفصيل متعارفاً))^{٢٠}.

أما الحكمة العملية فيقسمها ابن سينا أيضاً إلى أنواع أربعة، لم يسبق أن عرفت قبله، إذ كانت الحكمة العملية تذكر قبله على الدوام ذات أقسام ثلاثة، وحتى الفارابي لم يتطرق أبداً إلى نوع تدبير المنزل منها، لقد أحدث ابن سينا بفعله هذا تحولاً كبيراً جداً في الحكمة العملية وفي الفلسفة السياسية، إلا أن المؤسف أن هذه الخطوة السينوية السهامية لم

في الأمور الجزئية والخبراء فيها، وهذه الصورة عن ابن سينا واضحة يكفي لاكتشافها - بعيداً عن مراجعة آثار ابن سينا وكتاباته - الصفحتين الأخيرتين من إلهايات كتاب الشفاء، إذ تبدو هناك كاملةً واضحةً وملموسة^{١٥}.

وبعد ملاحظة الأنموذجين السابقين، نعرّج الآن على تقسيم العلوم الذي ذكره ابن سينا في كتاب منطق المشرقيين، لنستعرض مشهد المكانة التي تحظى بها السياسة والحكمة العملية في إطاره، وتقسيم منطق المشرقيين مختلف تماماً عن التقسيمين المتقدّمين، ويدوّن أن ابن سينا قد سطّر في أواخر عمره بعد احتماره الفكري ونضوجه العلمي.

ويعدّ كتاب منطق المشرقيين قسماً من علم المنطق، الذي هو بدوره قسم من كتاب مفصل وهام لابن سينا يحمل اسم: حكمة المشرقيين، والذي يلوح من كتاب المباحثات لابن سينا أن حكمة المشرقيين قد تعرض للنها في الحملة التي قام بها أنصار محمود الغزنوی على إصفهان، مع أثاث المنزل وعدد آخر من كتابات ابن سينا، ثم ما لبث أن فقد بعد ذلك^{١٦}.

وقد جاءت آراء ارسسطو وابن سينا وبقية المشائين ما راج منها في كتاب الشفاء المفصل، إلا أن ابن سينا لم يصنف منطق المشرقيين سوى للخاصة جداً، محّرماً نشره وترويجه، إنه يقول في مقدمته: ((وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا - أعني الذين يقومون منا مقام أنفسنا - وأما العامة من مزاولي هذا الشأن، فقد أعطيناهم في كتاب الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم))^{١٧}.

وفي التقسيم المعتمد في منطق المشرقيين، يشرع ابن سينا بتقسيم العلوم إلى علوم مقطوعية فانية غير ثابتة وعلوم ثابتة دائمة، ثم يقول: إن بعض العلوم لا يليه تصرّم الليالي والأيام، فلا يغدو قدّيماً أو عتيقاً، بل تراه على الدوام طرياً طازجاً غاضباً نضراً، وهذا القسم من العلوم هو - وحده - ما ينبغي عده علمًا حقيقياً وحكمةً واقعيةً.

ويضع ابن سينا الفلسفة السياسية والحكمة العملية داخل هذا النوع من العلوم الباقية الحقيقة، تلك العلوم التي تبقى

فعلت ولا بأس بذلك، لكنك تجد الأحسن أن يفرد العلم بالأخلاق والعلم بتدبير المنزل والعلم بتدبير المدينة كلّ على حدة، وأن يجعل الصناعة الشارعة وما ينبغي أن تكون عليه أمراً مفرداً.

وليس قولنا: وما ينبغي أن تكون عليه، مشيراً إلى أنها صناعة ملقة مخترعة ليست من عند الله، ولكل إنسان ذي عقل أن يتولاها، كلا، بل هي من عند الله، وليس لكل إنسان ذي عقل أن يتولاها، ولا حرج علينا إذا نظرنا في أشياء كثيرة - مما يكون من عند الله - أنها كيف ينبغي أن تكون.

فلتكن هذه العلوم الأربع أقسام العلم العملي، كما كانت تلك الأربع أقسام العلم النظري.

وليس من عزمنا أن نورد في هذا الكتاب جميع أقسام العلم النظري والعلم العملي، بل نريد أن نورد من أصناف العلوم هذا العدد: نورد منه العلم الآلي، ونورد العلم الكلّي، ونورد العلم الإلهي، ونورد العلم الطبيعي الأصلي، ونورد من العلم العملي القدر الذي يحتاج إليه طالب النجاة، وأمّا العلم الرياضي فليس من العلم الذي يختلف فيه.

والذي أوردناه منه في كتاب الشفاء هو الذي نورده هنا هنا لو اشتغلنا بإيراده، وكذلك الحال في أصناف العلم العملي لم نورده هنا هنا (العدم الاختلاف فيه) ^{٢١}.

يمتاز هذا التقسيم السينيوي - مقارنةً بسائر التقسيمات - بأهمية فائقة، سيما من زاوية فلسفة السياسة وفلسفة الحقوق، ولم يسبق ابن سينا أحد ينظم هذا الموضوع ويجلمه بصراحة كما فعله هو.

أولاً: أقدم ابن سينا، وعلى خلاف المنهاج المتعارف، دون سابقة مضبوطة في الفلسفة، على تقسيم العلوم إلى علوم باقية وأخرى موردية زائلة، جاعلاً الحكمة العملية، والفلسفة السياسية، وعلم الحقوق (التقنين) من العلوم الثابتة الأصلية، التي تستحق بحداره اسم الحكمة.

ثانياً: ذكر ابن سينا لكل واحد من العلوم النظرية والعملية أربعة أقسام مستقلة، فقد أضاف في الحكمة

تلق اهتماماً مناسباً من جانب الفلاسفة الذين أتوا بعده، ولم تبيّن أو تشرح كما هو حقّها.

وفي هذا التقسيم الجديد، يدرج ابن سينا علم معرفة نزول الوحي، ومعرفة النبي، ومعرفة الإمام تحت عنوان: علم التشريع والتقنين، معتبراً الأخير ركناً أو فرعاً رابعاً لفلسفة السياسة.

لقد تمكّن ابن سينا - عبر ذلك - من حلّ التضاد التاريخي ما بين العقل والوحى، الفلسفة والشريعة، متغّرضاً بذلك على الثنائية الفلسفية العتيقة، فقد رد للقانون مكانته الضائعة في الفلسفة الإسلامية، كما منح علم الشريعة والقانون (علم الحقوق) بوصفه علمًا أصلياً باقياً قيمةً فلسفية لازمة له.

يقول ابن سينا: ((وأمّا العلم العملي، فمنه ما يعلم كيفية ما يجب أن يكون عليه الإنسان في نفسه وأحواله التي تخصّه، حتى يكون سعيداً في دنياه هذه وفي آخرته، وقوم يختصون هذا باسم علم الأخلاق، ومنه يعلم كيف يجب أن يجري عليه أمر المشاركات الإنسانية لغيره، حتى يكون على نظام فاضل، إما في المشاركة الجزئية، وإما في المشاركة الكلية، والمشاركة الجزئية هي التي تكون في منزل واحد، والمشاركة الكلية هي التي تكون في المدينة.

وكل مشاركة فإنما تتم بقانون مشروع، ومنتولّ لذلك القانون المشروع يراعيه، ويعمل عليه ويحفظه، ولا يجوز أن يكون المتولّ لحفظ التقنين في الأمرين جيغاً إنسان واحد، فإنه لا يجوز أن يتولّ تدبير المنزل من يتولّ تدبير المدينة، بل يكون للمدينة مدبر، ولكل منزل مدبر آخر، ولذلك يحسن أن يفرد تدبير المنزل بحسب التولّي، باباً مفرداً، وتدبير المدينة بحسب المتولّي باباً مفرداً، ولا يحسن أن يفرد التقنين للمنزل والتقنين للمدينة كلّ على حدة، بل الأحسن أن يكون التقنين لما يجب أن يراعي في خاصة كلٍّ شخص، وفي المشاركة الصغرى وفي المشاركة الكبرى شخص واحد بصناعة واحدة وهو النبي. وأما المتولّ للتدبیر، وكيف يجب أن يتولّ، فالأحسن أن لا تدخل بعضه في بعض، وإن جعلت كل تقنين أيضاً باباً آخر

رابعاً: يقرّ ابن سينا في تقسيمه الذي اعتمدته في منطق المشرقيين بأنّ المجتمع على المستوى العام (المدينة) وكذلك على المستوى الخاص، أي المنزل والعائلة، يخضع من ناحية تشريعية لسلطة تسمى ((صناعة الشارعين)) أو ((صناعة التقنين)), تستمد إلهامها من الشرع، إلا أنّ المواطن أو أحد أبناء الأسرة خارج - من الناحية الإدارية والتديرية - عن تحت رقابة السلطة التنفيذية المباشرة ورئيس المدينة المسمى سائساً.

ويصدر ابن سينا في هذا المجال حكماً إلزاماً قاطعاً باستخدامة جملة ((لا يجوز)), وذلك عند قوله: ((لا يجوز أن يكون المأولى لحفظ التقنين في الأمرين جميعاً إنسان واحد، فإنه لا يجوز أن يتولى تدبير المنزل من يتولى المدينة، بل يكون للمدينة مدير، ولكلّ منزل مدير آخر)).^{٢٣}

من هنا، يفصل ابن سينا الدائرة الشخصية الخاصة عن مجال السياسة فصلاً كاملاً، مقيداً صلاحيات الحكم والدولة إزاء التدخل في الحالات الشخصية للأفراد، لا بل مانعاً عن ذلك كلّ المنع، وهي مسألة قلماً وجدنا بحثاً أو رأياً فيها بين فلاسفة السياسة المسلمين قبل ابن سينا، ولذا يمكن عده أحد رادة هذا الموضوع ومبدعيه.

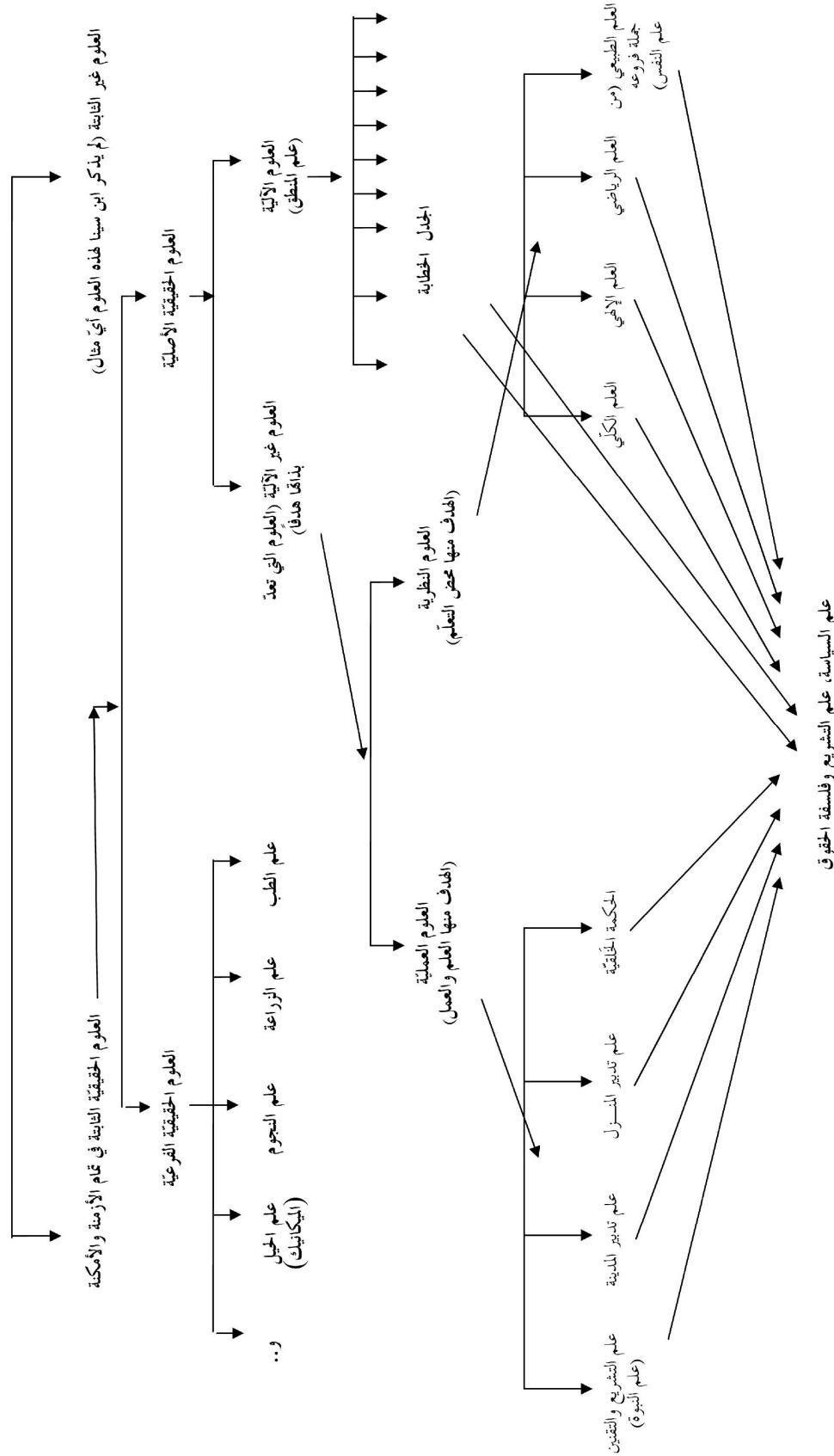
وعلى آية حال، نعرض بين يدي القارئ التقسيم السينيوري للعلوم، وفقاً لما جاء في كتاب منطق المشرقيين ضمن هذا الانموذج التوضيحي، الذي يدلّل في الوقت عينه على مكانة الفلسفة السياسية عنده، وكيفية ارتباطها بالعلوم الأخرى، وغير مقارنة هذا الرسم بما سبقه تغدو - فيما تتوقع - الصورة أكثر وضوحاً والنتيجة أكثر صوابية.

النظرية العلم الكلّي، فيما أضاف على الحكمة العملية ما يمكن تسميته بالنية، وعلم التقنين، وعلم الناموس، وعلم التشريع.

ثالثاً: صرّح ابن سينا بأنّ مبدأ التقنين من الله تعالى، فحتى الإنسان العاقل لا يقدر - بالأصل دون لحاظ المصادر الوحيانية - على إبداع نظام قانوني، لكنّ البشر قادرون على إبداع وجهة نظرهم القانونية ضمن الأطر الكلية العامة في الوحي، والتي تحدّد كيفية التقنين ونحوه، وفي مطابقي هذه المقوله التي يتحدث حولها ابن سينا يشير إلى استقلال السلطة التشريعية، كما يلفت الانتباه إلى عدم إمكان إدارة مجتمع بالجمود على ظواهر الشرع دون الأخذ بعين الاعتبار الحقائق المتغيرة المتقدّدة في حياة البشر، فمن اللازم التفكير في كيفية سنّ القوانين والتشريع المناسب مع الأزمنة والأمكنة المختلفة، بل حتى مع طبائع الشعوب المتنوعة.

ويوضح ابن سينا بصورة أكثر جلاءً هذه المسألة في كتابه إلهيات الشفاء، مشرحاً هناك وظائف الشارع بوصفه واضح القوانين، ويرى ابن سينا أنّ الشارع إذا ما وضع لجزئيات الحياة المدنية قوانين ثابتة أدى ذلك إلى فساد المجتمع وهلاكه واضمحلاله، لا سيما ما يتصل بشؤون الاقتصاد والمعاملات والسياسة فيه، ذلك أنّ الرمان يخضع على الدوام للتحوّل والصيغة، ومن هنا لم يكن تصويب هذا النوع من القوانين مفروضاً إلى الشارع، وإنما إلى السائس ورئيس الدولة في الفترات الزمنية المختلفة، حيث يعمد الحكم إلى ممارسة عملية تقنين، مستفيداً لها من وجهات نظر أصحاب الرأي والمشورة.^{٢٤}

أنواع العلوم (مستخرج من كتاب منطق المشرقيين لابن سينا)



ويختصُّ العلمُ الأعلىُ أو الإلهياتُ في منتهِه بباحثِ المعاد، والنبوة، والتشريع والتقيين، وتأسِيسِ المدينة العادلة أو الفاضلة، وعبر ذلك تنسَبُ مُحصّلةُ تامٍ أنواعِ العلومِ النظريةِ في نطاقِ الحكمَةِ العمليةِ والفلسفةِ السياسيةِ، مما يرشد - عملياً - إلى أنَّ البناءِ الفلسفِيِّ السينيويِّ إنما انتظمَ وانعقدَ للتمهيدِ لتأسِيسِ المدينة العادلة، بغيةِ تربيةِ الإنسانِ السعيدِ، ذلكُ الإنسانُ المكوّنُ من عناصرِ الفضيلةِ، والشجاعةِ، والعفةِ، والناسِ - عبرَ هذا الطريقَ - يلْغونَ مقامَ الاعتدالِ الذي هو عينِ السعادة^{٢٠}، وتتوفّرُ للبشرِ - في هذا المجتمعِ بالخصوصِ - إمكانيةُ السعيِ للتشبّهِ باللهِ سبحانهَ عبرَ تجنبِ الصفاتِ الرديئةِ والأعمالِ الرذيلةِ كالكذبِ والخيانةِ و..

إنَّ الهدفَ الرئيسيَّ عندِ ابنِ سينا من تأسِيسِ المدينةِ والاجتماعِ الإنسانيِّ هو توفيرِ الأرضياتِ المناسبةِ للعرفانِ، والعبادةِ، وتربيةِ الإنسانِ الموحدِ الواصلِ إلى اللهِ تعالى^{٢١}.

بناءً عليه، ينكشفُ لنا أنَّ جملَ البناءِ الفلسفِيِّ السينيويِّ إنما شُيّدَ برمتهِ لبلوغِ السياسةِ والحكمةِ العمليةِ.

وتنتهيُ فلسفةُ ابنِ سينا - بما فيها من أنواعِ الحكمَةِ - بالعلمِ الأعلىِ أو الحكمَةِ الإلهيَّةِ، فيما تنتهيُ الحكمَةِ الإلهيَّةِ بدورِها بالفلسفةِ السياسيةِ، وشكلِ تأسِيسِ المدينةِ، وتربيةِ الإنسانِ ليغدو قادرًا على بناءِ ذاتِه والتشبّهِ باللهِ سبحانهَ، وهذا ما نجده عن طريقِ البحوثِ الموجودةِ في الأنواعِ الأربعِ للحكمَةِ العمليةِ، وهي تهذيبُ النفسِ، وتدبِيرُ المنزلِ، وسياسةِ المدنِ، وعلمِ النبوةِ والتشريعِ، كما يقعُ قسمٌ آخرُ منهُ عن طريقِ فنِ الخطابةِ والجدلِ في المنطقِ، وثالثُ عن طريقِ شكلِ تنظيمِ المباحثِ في التناحراتِ الموسوعيةِ الجامعيةِ لابنِ سينا، من نوعِ الشفاءِ، ذلكَ كَمَا ليتسنى للبشرِ الوصولِ إلى السعادةِ الأخرويةِ والأبديةِ، أي بلوغِ الإنسانِ الخيرِ الحاضرِ، والسعادةِ المطلوبةِ، والعيشِ في اجتماعٍ لا ظلمَ فيه ولا اخْرافَ ولا اخْطاطَ، ولحفظِ المكانِ المناسبِ بعْيَةً كسبِ الاستعدادِ اللازمِ لسفرِ الآخرةِ، ونيلِ السعادةِ الأبديةِ.

وتتشبّهُ المنظومةُ الفلسفِيَّةُ السينيويَّةُ **الـهيكليةُ العمرانيَّةُ** للمدنِ الإسلاميةِ الكبُرى قديمًا، حيثُ تنتهيُ الطرقُ وتصبُّ

٢- إطار المنظومة الفلسفية

تتكوّنُ المنظومةُ الفلسفيةُ أو الجهازُ الفلسفِيُّ لأيِّ فيلسوفٍ من جملةِ عناصرٍ متعددةٍ، تدورُ بأجمعِها حولُ محورٍ واحدٍ، وتعنى لإلباسِ ثوبِ الواقعيةِ لهدفِ أصليٍّ ومشتركٍ هائِيٍّ، وإذا ما نجحنا في التعرُّفِ على ذلكَ الهدفِ الأصليِّ المستكِنَ داخلَ المنظومةِ الفلسفيةِ لهذا الفيلسوفِ أو ذاكِ، فقدَ وفَقْنَا في معرفةِ تامٍ لأبعادِ فلسفتهِ، كما وأدرَّ كُنا بوعيٍّ وبصيرةٍ كيفيةِ التناسبِ وانتقاءِ العناصرِ في تلكَ المنظومةِ، واتضحَ أمامَنا - عبرَ ذلكَ - المكانةُ الخاصةُ التي يحظى بها كلُّ علمٍ أو حكمَةٍ داخلَ هذا النظامِ الفلسفِيِّ.

إنَّ بنيةَ النظامِ الفلسفِيِّ السينيويِّ تخضعُ لقانونِ المذكورِ نفسهِ، وعلىِيهِ، يلزمُنا - بدايةً - كشفُ النقابِ عنَ الهدفِ الرئيسيِّ فيها، حتى نقدرُ على تحديدِ موقعيةِ أنواعِ الحكمَةِ داخلِ هذا النظامِ، ومن بينِها مكانةُ الفلسفةِ السياسيةِ والحكمةِ العمليةِ.

يقعُ ابنُ سينا في قراءةِ تارِيخيةٍ للفلسفةِ وتحوّلاتهاِ وحقبيتهاِ في مرحلةٍ نطلقُ عليها اسمَ ((تألُّهِ الفلسفةِ)), وبلغوها التوحيدُ الأصيلُ الحالُصُ، فقدَ ذكرُوا في تعريفِ الفلسفةِ أنها ((التشبّهُ بالحَالِقَ بقدْر طاقةِ الإنسانِ))^٤، أي إنَّ تربيةَ الإنسانِ الإلهيَّ في المدينةِ العادلةِ أو المدينةِ الفاضلةِ السينيويَّةِ هو الهدفُ الرئيسيُّ في البناءِ الفلسفِيِّ لابنِ سينا، وقد دلَّلتَا سابقاً عبرَ استخراجِ المطالبِ الفلسفِيةِ من آثارِ ابنِ سينا ووضعِ بعضِ رسومٍ بيانيةٍ على أنَّ تامَّ عناصرِ الحكمَةِ وأقسامَها في المنظومةِ الفلسفِيَّةِ السينيويَّةِ إنما انتظمَتْ وتألَفتْ لتحقيقِ هذا الغرضِ، أي ل توفيرِ الأرضيةِ المناسبةِ لتأسِيسِ المدينةِ العادلةِ، وتحقَّقَ علمُ السياسةِ، وفلسفةُ الحقوقِ والتشريعِ.

وكمَا أشرنا من قبلِ أيضاً، فقدَ قسمَ ابنِ سينا الحكمَةَ - في المرحلةِ الأولى - إلى عمليةٍ ونظريَّةٍ، والأولى تعنيُ الأخلاقَ والفلسفةَ السياسيةَ، ثمَّ قسمَ الحكمَةَ النظريةَ إلى ثلاثةِ أقسامٍ هي: العلمُ الأسفلُ أو الحكمَةُ الطبيعيةُ، والعلمُ الأوسطُ أو الحكمَةُ الرياضيةُ، والعلمُ الأعلىُ أو الحكمَةُ الإلهيَّةُ، كما خصَّصَ ابنُ سينا كلاً من كتابِ الشفاءِ الكبيرِ ودانشنامَه علائِي لشرحِ هذهِ العلومِ وتفسيرِها، علاوةً على علمِ المنطقِ.

وفي هذا المضمار، تكون للعلوم الرياضية الجزئية، والأخلاقيات، وعلم السياسة منافع أيضاً تمنحها الفلسفة الأولى والإلهيات، إلا أنها لا تصنف على مستوى ترتيب البحوث مقدمةً لها حتى يكون وجودها من هذه الزاوية ضرورياً^{٢٨}، أي أن علم الأخلاق والسياسة يمثلان نتيج الفلسفة الأولى لا سببها وموjudها، أو فقل: كدرجات السلالم في سلسلة علومها التمهيدية.

٣- إطار الحكمـة المشرقـية

لابن سينا نوعان من الفلسفة، إحداها الفلسفة الأرسطية المعروفة بالفلسفة المتأثرة، والتي سطّرها لعموم الراغبين والمحاجين، وثانيةما الفلسفة الخاصة التي عبر عنها هو نفسه بحكمة المشرقيـين، ودونـها بل أنسـها للخواص فحسب، تماماً كما يقول هو نفسه في منطق المشرقيـين: ((وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا - أعني الذين يقومون مـنا مقام أنفسنا - وأما العامة من مزاولي هذا الشأن، فقد أعطيـناهم في كتاب الشفاء ما هو كثـير لهم وفـوق حاجتهم))^{٢٩}.

وتتنوع الكتب المتعلقة بفلسفة المشرقيـين إلى نوعين، بعضها ذا لغـة رمزـية، وهذا كسوـة قصصـية روائـية، مثل رسالة حـي بن يقطـان، ورسالة الطـير، وسلامـان وإيسـال، وبعضها الآخر لا يملك لغـة رمزـية، وإنـما أدـبيات عاديـة متـوارثـة ومستـعملـة، مثل كتاب حـكمة المـشرقيـين المـفقودـ، والـذـي بـقيـت منه مـقدـمـته فـقطـ، مشـتمـلةً عـلـى قـسـمـ من المـنـطـقـ، وكـذـلكـ مثل الفـصـولـ الأخيرةـ من كتاب الإـشارـاتـ والتـنبـيـهـاتـ.

وهـذا القـسـمـ من الفلـسـفةـ السـينـيـوـيةـ المـسـمـىـ بـعـلـمـ الـخـواصـ، لا يـخلـوـ هوـ الآـخـرـ عنـ حـكـمـةـ الـعـلـمـيـةـ وـالـفـلـسـفـةـ السـيـاسـيـةـ، فـقدـ تـحدـدـ ابنـ سـيـناـ فيـ مـقـدـمـةـ حـكـمـةـ المـشـرـقـيـينـ - عـنـ تـقـسيـمـهـ الـعـلـمـ وـتـحـديـدـ مـكـانـتهاـ - عـنـ عـلـمـ السـيـاسـةـ بـحـدـيـثـ جـاذـبـ وـبـرـاقـ سـبقـ أنـ أـسـلـفـنـاهـ، إـلـاـ آـنـهـ كـانـ وـعـدـ هـنـاكـ قـائـلاـ: ((وـنـورـدـ مـنـ الـعـلـمـ الـعـلـمـيـ الـقـدـرـ الـذـيـ يـحـتـاجـ إـلـيـ طـالـبـ النـجـاحـ))^{٣٠}، بـيدـ أنـ فـقـدانـ الـكـتابـ جـعلـناـ جـاهـلـينـ - بـالـدـقـةـ - بـطـبـيـعـةـ الـبـحـثـ الـذـيـ اـسـتـأـنـفـهـ ابنـ سـيـناـ هـنـاكـ حـولـ حـكـمـةـ الـعـلـمـيـةـ وـالـفـلـسـفـةـ السـيـاسـيـةـ.

الـسـبـلـ جـمـيعـهاـ فيـ السـاحـةـ الـمـركـزـيةـ لـلـمـدـيـنـةـ، فـالـأـرـزـقـ وـ..ـ تـنـصـلـ بـعـدـ شـوـارـعـ كـبـيرـ وـرـئـيـسـيـةـ تـنـصـلـ بـدـورـهاـ بـالـسـاحـةـ الـعـامـةـ الـتـيـ تـقـعـ وـسـطـ الـمـدـيـنـةـ، ذـاكـ الـوـسـطـ الـذـيـ تـكـوـنـ أـطـرـافـهـ وـنـوـاـحـيـهـ مـنـ جـمـوعـةـ عـنـاصـرـ تـنـحـهـ هـوـيـتـهـ الـخـاصـةـ وـمـكـانـتـهـ الـمـيـزـةـ لـلـمـدـيـنـةـ مـثـلـ دـارـ الـإـمـارـةـ، وـالـمـسـجـدـ، وـالـمـدـرـسـةـ، وـالـسـوـقـ، وـالـحـمـامـ الـعـوـمـيـ وـأـحـيـاـنـاـ مـنـزـلـ الـقـوـافـلـ وـخـانـاتـ الـمـسـافـرـينـ.

وـبـنـاءـ عـلـيـهـ، لـيـسـ صـدـفـةـ وـلـاـ اـتفـاقـاـ أـنـ تـنـتـقـيـ الـمـبـاـحـثـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ الـمـنـظـومـةـ السـيـنـيـوـيـةـ لـتـصـبـ جـمـيعـهاـ فـيـ الـحـكـمـةـ الـإـلـهـيـةـ، وـتـنـتـهـيـ هـذـهـ الـحـكـمـةـ بـمـيـاـحـثـ الـمـادـ، وـالـنـبـوـةـ، وـتـأـسـيـسـ الـمـدـيـنـةـ، إـنـمـاـ هوـ شـيـءـ خـطـطـ عـنـ وـعـيـ مـسـبـقـ لـيـكـتـسـبـ ذـاتـهـ وـمـفـهـومـيـتـهـ، وـلـيـكـونـ شـاهـدـاـ عـلـىـ عـظـمـةـ الـمـكـانـةـ الـتـيـ تـتـمـتـعـ بـهـاـ الـفـلـسـفـةـ السـيـاسـيـةـ عـنـدـ اـبـنـ سـيـناـ وـسـمـوـهـاـ.

وـبـهـذـاـ التـصـوـرـ السـيـنـيـوـيـ لـلـسـيـاسـةـ وـالـفـلـسـفـةـ السـيـاسـيـةـ، وـهـوـ تـصـوـرـ لـاـ يـعـتـرـفـ الـحـكـمـةـ نـاقـصـةـ وـلـاـ بـتـراءـ..ـ يـذـهـبـ اـبـنـ سـيـناـ إـلـىـ تـصـوـرـ الـحـكـمـةـ الـإـلـهـيـةـ مـحـيـطاـ خـصـيـماـ عـظـيـماـ تـصـبـ فـيـهـ الـأـنـهـرـ كـافـةـ، مـنـ هـنـاـ كـانـ لـابـدـ - بـدـايـةـ - مـنـ تـلـاقـيـ الـأـطـرـافـ كـافـةـ فـيـ الـحـكـمـةـ السـيـاسـيـةـ لـتـعـرـضـ مـنـافـعـهـ وـبـضـائـعـهـ وـنـتـاجـاتـهـ الـمـشـرـكـةـ هـنـاكـ.

إـنـ هـذـاـ النـصـ السـيـنـيـوـيـ فـيـ الـفـصـلـ الثـالـثـ مـنـ إـلـهـيـاتـ الـشـفـاءـ شـاهـدـ صـارـخـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـقـيقـةـ: ((إـنـ الـعـلـمـ كـلـهـاـ تـشـتـرـكـ فـيـ مـنـفـعـةـ وـاحـدـةـ، وـهـيـ تـحـصـيلـ كـمـالـ الـنـفـسـ الـإـنـسـانـيـةـ بـالـفـعـلـ، مـهـيـةـ إـيـاـهـاـ لـلـسـعـادـةـ الـأـخـرـوـيـةـ))^{٢٧}.

وـمـنـ الـطـبـيـعـيـ أـنـ لـاـ يـتـسـنـيـ تـحـقـيقـ هـذـاـ الـهـدـفـ الـكـبـيرـ إـلـاـ عـبـرـ الـحـكـمـةـ الـعـلـمـيـةـ وـفـرـوـعـهـاـ الـثـالـثـةـ أـوـ الـأـرـبـاعـةـ، وـعـلـيـهـ، تـغـدوـ الـحـكـمـةـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ فـلـسـفـةـ اـبـنـ سـيـناـ مـلـتـقـيـ الـعـلـمـ كـافـةـ وـأـنـوـاعـ الـحـكـمـةـ عـامـةـ.ـ بـعـدـ الـمـقـطـعـ الـمـشارـ إـلـيـهـ، يـذـكـرـ اـبـنـ سـيـناـ أـنـ لـنـفـعـةـ الـعـلـمـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ بـعـضـهـاـ بـعـضـ عـنـ الـمـؤـلـفـينـ معـنـ آخرـ، تـغـدوـ فـيـهـ الـعـلـمـ كـافـةـ فـيـ خـدـمـةـ الـفـلـسـفـةـ الـأـوـلـىـ، بـماـ فـيـهـاـ الـعـلـمـ الـطـبـيـعـيـ وـالـرـياـضـيـةـ، وـمـنـ ثـمـ، وـبـالـمـقـابـلـ تـمـلـقـ الـفـلـسـفـةـ الـأـوـلـىـ الـمـيـارـ الـذـيـ يـزـنـ مـدـيـاتـ الصـوـابـ أوـ الـخـطـأـ فـيـ تـلـكـ الـعـلـمـ، مـاـ يـجـرـ عـلـيـهـ جـمـيعـهـاـ نـفـعاـ وـمـصـلـحةـ، مـنـ نـوـعـ الـمـصـلـحةـ الـتـيـ يـدـرـرـهـاـ الرـئـيـسـ عـلـىـ مـرـؤـوسـيـهـ، وـالـمـخـدـومـ عـلـىـ خـادـمـيـهـ.

سلامان وإيسال تعاليم عدّة تتعلّق بسياسة المدن، فلدي شرّحه مصطلحي ((سلامان وإيسال)) في كتاب الإشارات – وما يشيره الخواجة الطوسي هنا هو بحد ذاته قيّم يستحق الدرس والتركيز – وعند تفسيره قسماً من الرسالة المذكورة لابن سينا، مفكّكاً رموزها حالاً أسرارها يقول: ((فتحه البلاد لأحيه: اطّاع النفس بالقوّة النظريّة على الجبروت والملائكة، وترقيّها إلى العالم الإلهي، وقدرتها العمليّة على حسن تدبيرها في صالح بدّها، وفي نظم أمور المنازل والمدن. ولذلك سمّاه بأول ذي القرنين، فإنه لقب من كان يملك الخافقين ... واحتلال حال سلامان لفقد إيسالاً: اضطراب النفس عند إهمالها تدبيرها شغلاً بما فوقها، ورجوعه إلى أحيه: التفات العقل إلى انتظام مصالحها في تدبيرها البدن))^{٣٥}.

فعندما يستنتاج فيلسوف مثل الخواجة نصير الدين الطوسي من هذه الرسائل العرفانية المرمزّة مسائل تتصل بالحكمة العملية وسيادة المدن، فلا بد أنّ جوهر هذه المسائل مستكّن بين سطور هذه الرسائل، ومن هنا يمكن القول: إن واحداً من أنماط البحث السينيوي في الفلسفة السياسية يتمثّل في آثاره في حكم المشرقيّين، أعمّ من رسائله الرمزية وغيرها، فمن مطالعة هذه الأعمال العلمية وتحليلها ودرستها ونقدها وتقويمها يمكننا اكتشاف علاقة العرفان بالسياسة والسلطة عند ابن سينا، لنضع يدنا على نوع جديد من الفلسفة السياسية.

إن الرسائل الرمزية الأخرى لابن سينا لم تقرأ – هي الأخرى – من هذه الرواية أيضاً، يقول الدكتور يوسف زيدان الذي حقّق ونشر الرسائل المتعلّقة بموضوع حيّ بن يقطان في الحضارة الإسلامية، متقدّماً عن رسالة ابن سينا: إن المقصود بجيّ نوع البشر، وبيقظان العقل البشري المتيقّظ، الذي لا بد له أن يترك أثراً أو بصمةً على أبعاد الحياة الروحية والمادية للبشر، فيحرّر الروح من أسر القوى النفسيّة^{٣٦}.

٤- إطار المصنفات المفردة

إحدى أشكال التناول السينيوي الأخرى لموضوع الحكم العملية وسيادة المدن الرسائل والمدونات المستقلة المفردة التي خصّصت

أما الفصول الأخيرة من كتاب الإشارات، أي النّصّ الثامن، والتاسع، والعشر، فقد اشتغلت على بحوث أساسية في الأخلاق والسياسة، يمكن وصفها بالاستثنائية، فقد تحدّث ابن سينا في هذه الفصول من الإشارات بحديث بارع ورائع حول مسألة الشرّ في الطبيعة الإنسانية والمجتمع البشري، والسياسة قسم من هذا الموضوع، مستخدماً منهاجاً جديداً كلّ الجدة ذات سمة إبداعية، جاعلاً مباحث القضاء والقدر والعنایة الأزلية البناء التحفيزي الذي تشاد عليه حلول مسألة الشرّ من الناحية الفلسفية، لقد قام ابن سينا في هذا البحث فعلاً بتقويم ظواهر كالظلم، والعدل، واللامساواة الاجتماعية تقويمًا حذرياً^{٣٧}.

وهكذا الحال في مسألة السعادة والشقاوة الحسّاسة، والتي يتکفل عند الفلاسفة كلّ من علم الأخلاق وعلم المدن حلّها وتأمينها في الاجتماع والمدينة، إذ تعمّت ببحث مسهب قلل نظيره من قبل، حيث أبدى فيه ابن سينا مواقف وآراء هامة^{٣٨}. وقد تعرض ابن سينا أيضاً إلى موضوعات من نوع كيفية تكون المجتمعات البشرية، وتأسّس المدن، والهدف منها، فأثار مباحث رئيسية، مستدلاً على ضرورتها باستخدام منهج برهاني وفلسفي، حيث لا يمكن بناء إنسان عارف إلا في محيط كهذا^{٣٩}.

وفي هذه الموضع كافية، نلاحظ – إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الشروح المعطاءة للخواجة نصير الدين الطوسي – إشارات لتبلور حكمه عملية وفلسفية سياسية جديدة، يمكنها أن تشكّل بنيةً تحفيزيةً فلسفيةً وبرهانيةً راسخةً لتشييد علاقة ((العرفان والسلطة))^{٤٠}.

ولم تخلُ الرسائل الرمزية السينيوية في الحكم المشرقيّة من مفاهيم سياسية أو تعليم كذلّك، رغم أنّ موضوعها الرئيس كان يترّكّ حول الأخلاق وتحذيب النفس، الذي يصنّف بدوره قسماً من الحكم العملية، وبنيةً تحفيزيةً أساسيةً لسياسة المدن.

على أية حال، إذا ما أمعنّا النظر والتفكير في مقوله ((العرفان والسلطة)) بصورةٍ أكثر مبدئيةً، فسوف نعثر في هذه الرسائل على عدد أكبر من المفاهيم السياسية، تماماً كما حاوله فيلسوف بارز من أمثال الخواجة نصير الدين الطوسي، حيث استنتاج من رسالة

مع الأخذ بعين الاعتبار مسبقاً هذه الآلية الدرسية للموضوع، لـن تكون قادرـين على التعرـف على محـال بـحث هـذه المـوضوعات عند ابن سـينا وـمظـانـها فـحسبـ، بل سـتـنـجـليـ أـمـامـناـ جـمـلةـ الـبـنـيـةـ الـفـلـسـفـيـةـ السـيـاسـيـةـ السـيـنـيـوـيـةـ، وهـيـكـلـهاـ الـعـامـ، مع طـبـيـعـةـ الـعـلـاقـةـ الـتـيـ تـرـبـطـ أـجزـاءـهـاـ بـعـضـهاـ بـعـضـ، وـسـوـفـ نـفـهـمـ آـنـذـاكـ أـنـ ابنـ سـيـنـاـ أـشـغـلـ نـفـسـهـ بـيـنـاءـ مـبـادـئـ الـفـلـسـفـةـ السـيـاسـيـةـ وـأـصـوـلـهـاـ قـبـلـ أـنـ يـشـغـلـهـاـ بـجـزـئـيـاتـ الـفـلـسـفـةـ السـيـاسـيـةـ، لـاـ بـلـ إـنـ ابنـ سـيـنـاـ لـيـسـ فـقـطـ لـمـ يـعـتـرـ الـانـشـغالـ بـالـجـزـئـيـ هـذـاـ خـارـجـاـ عـنـ وـظـائـفـ الـفـيـلـسـوفـ وـمـهـامـهـ فـحسبـ، بلـ رـآـهـ مـنـفـصـلاـ أـيـضـاـ عـنـ مـهـامـ الـبـيـتيـ وـالـسـانـ وـالـشـارـعـ، إـذـ اـعـتـقـدـ بـأـنـ هـذـهـ الـمـسـائـلـ يـمـكـنـ الـوصـولـ إـلـىـ تـصـوـرـاتـ فـيـهـاـ عـبـرـ اـخـذـ منـهـجـ عـقـلـانـيـ اـجـهـادـيـ، وـعـمـومـاـ، عـبـرـ الـاستـفـادـةـ مـنـ تـجـارـبـ الـحـيـاةـ الـجـمـاعـيـةـ وـالـحـضـارـيـةـ لـلـبـشـرـ، ذـلـكـ أـنـ ظـرـوفـ الـزـمـانـ فـيـ تـحـوـلـ مـسـتـمرـ وـصـيـرـورـةـ دـائـمـةـ.

ولـكـيـ تـنـمـمـ الـفـائـدـةـ هـنـاـ، نـسـتـعـرـضـ فـيـ هـذـاـ الرـسـمـ التـوضـيـحـيـ كـيـفـيـةـ تـوزـعـ الـفـكـرـ السـيـاسـيـ وـالـحـكـمـةـ الـعـمـلـيـةـ عـنـ ابنـ سـيـنـاـ دـاخـلـ منـظـومـهـ الـفـلـسـفـيـةـ وـأـعـمـالـهـ الـمـتـفـرـقـةـ، إـنـ هـذـاـ الرـسـمـ الـبـيـانـ يـدـلـلـ عـلـىـ أـنـ الـفـكـرـ السـيـاسـيـ السـيـنـيـوـيـ قدـ اـنـتـشـرـ فـيـ مـخـتـلـفـ نـتـاجـاتـهـ، وـعـلـىـ طـولـ الـبـنـيـةـ الـكـبـيرـةـ لـمـنـظـومـهـ الـفـلـسـفـيـةـ، بـصـورـةـ لـاـ نـظـيرـ لـهـاـ وـلـاـ شـبـيهـ، إـلـاـ أـنـ هـذـاـ التـنـاثـرـ لـعـقـدـ الـفـكـرـ السـيـاسـيـ السـيـنـيـوـيـ تـخـبـيـ خـلفـهـ حـلـقـاتـ الـوـصـلـ وـالـارـتـبـاطـ، حتـىـ تـنـتـجـ مـجـمـوعـهـاـ سـيـاسـةـ الـمـدـنـ عـنـ ابنـ سـيـنـاـ. إـنـ فـنـ الـخـطـابـ وـالـجـدـلـ مـنـ عـلـمـ الـمنـطقـ، وـالـعـلـمـ الثـامـنـ مـنـ الـعـلـومـ الـطـبـيـعـيـةـ الـأـصـلـيـةـ الـمـسـمـيـ بـعـلـمـ الـنـفـسـ، إـضـافـةـ إـلـىـ الـعـلـمـ الـرـابـعـ وـالـخـامـسـ مـنـ الـعـلـومـ الـأـصـلـيـةـ الـإـلـهـيـةـ، وـكـذـلـكـ فـرـعـيـنـ مـنـ فـرـوـعـ الـعـلـومـ الـفـرـعـيـةـ الـإـلـهـيـةـ، زـدـ عـلـىـ ذـلـكـ تـقـامـ فـرـوـعـ الـحـكـمـةـ الـعـمـلـيـةـ، الـتـيـ دـوـنـتـ عـلـىـ شـكـلـ مـصـنـفـاتـ جـامـعـةـ، وـمـبـاحـثـ مـتـصـلـةـ، وـبعـضـهـاـ بـصـورـةـ كـتـابـاتـ مـفـرـدةـ وـرـسـائـلـ خـاصـةـ فـيـ بـعـضـ هـذـهـ الـعـلـومـ... كـلـهـاـ مـنـابـعـ وـمـصـارـدـ أـصـلـيـةـ وـمـبـاشـرـةـ لـلـفـكـرـ السـيـاسـيـ وـالـفـلـسـفـةـ السـيـاسـيـةـ عـنـ ابنـ سـيـنـاـ.

إـنـ كـتـابـاتـ ابنـ سـيـنـاـ الـمـفـرـدةـ فـيـ مـوـضـوعـاتـ مـثـلـ الـأـخـلاقـ، وـالـسـيـاسـةـ، وـالـنـبـوـةـ، وـفـلـسـفـةـ الـعـلـمـ، وـتـقـسـيمـ الـعـلـومـ وـتـنـظـيمـهـاـ وـوـ..ـ نـعـرـضـهـاـ لـلـقـارـئـ فـيـ هـذـاـ الرـسـمـ التـوضـيـحـيـ.

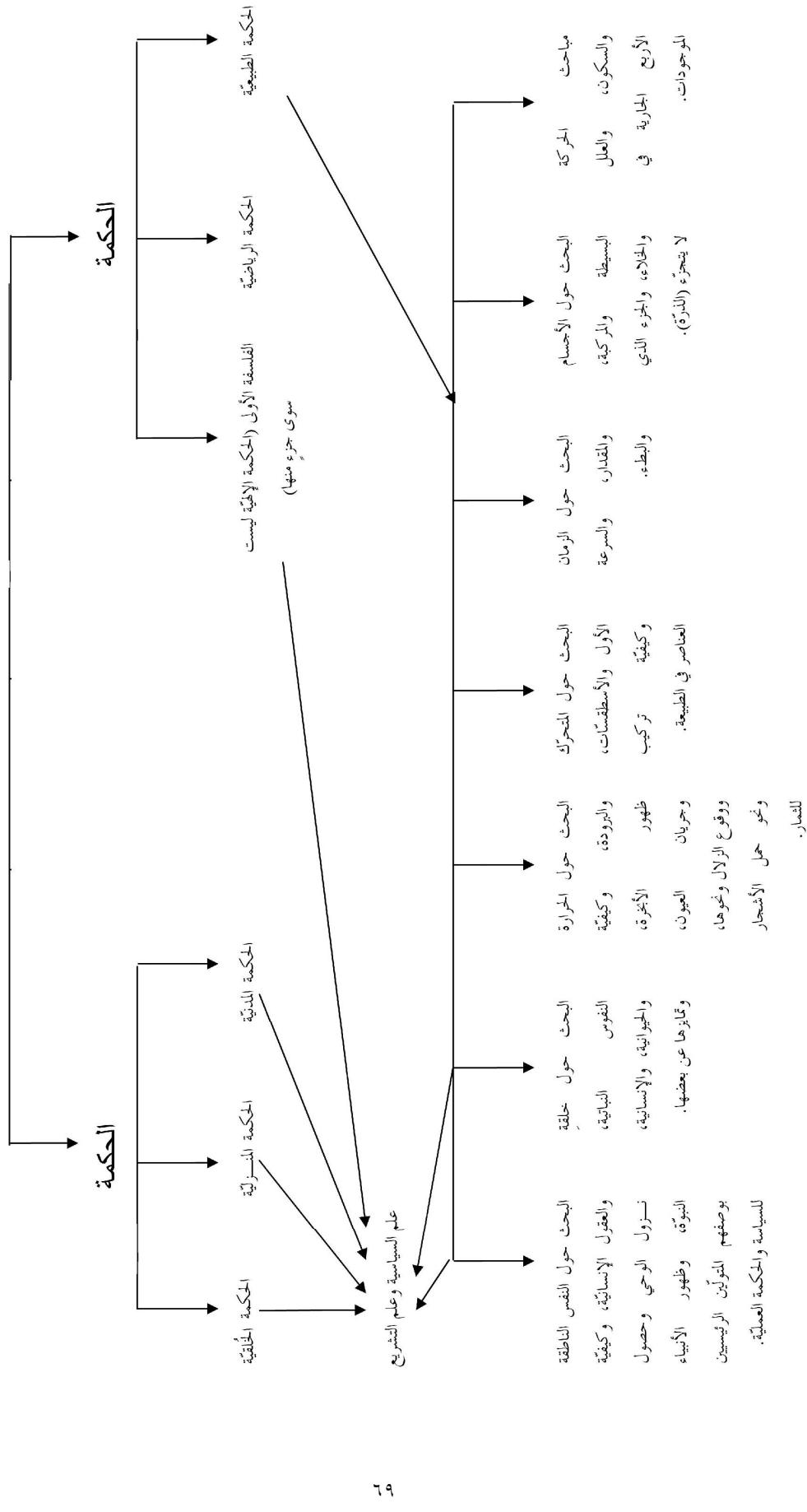
لمـعـالـجـةـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ، وـقـدـ أـطـلـقـنـاـ عـلـيـهـاـ اـسـمـ ((ـالـمـصـنـفـاتـ الـمـفـرـدةـ))، إـفـاـذاـ ماـ وـضـعـتـ هـذـهـ التـصـنـيفـاتـ الـمـفـرـدةـ إـلـىـ جـانـبـ بعضـهـاـ بـعـضـاـ مـكـمـلـةـ، فـسـوـفـ يـظـهـرـ لـنـاـ أـنـ مـلـةـ بـنـيـةـ فـلـسـفـيـةـ مـنـظـمـةـ تـقـبـعـ دـاخـلـ هـذـهـ الـمـتـفـرـقـاتـ، أـمـاـ لـوـ طـالـعـنـاـهاـ بـصـورـةـ مـنـفـصـلـةـ دونـ أـنـ نـسـعـىـ لـلـعـوـرـ عـلـىـ حـلـقـاتـ الـوـصـلـ وـالـارـتـبـاطـ فـيـمـاـ بـيـنـهـاـ فـيـنـاـ لـنـ تـبـلـوـ سـوـىـ كـتـابـاتـ مـتـفـرـقـةـ غـيـرـ مـبـرـرـةـ.

إـنـ رـسـائلـ ابنـ سـيـنـاـ حـولـ الـنـبـوـةـ، وـالـقـضـاءـ وـالـقـدـرـ، وـالـمـعـارـجـ، وـالـأـخـلـاقـ، وـالـسـيـاسـةـ، وـالـنـفـسـ، وـتـقـسـيمـ الـعـلـومـ وـتـنـظـيمـهـاـ، كـلـهـاـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الـمـصـنـفـاتـ، إـفـاـذاـ ماـ رـبـطـنـاـهـاـ بـعـضـهـاـ بـعـضـ، وـطـالـعـنـاـهاـ بـغـيـةـ اـكـتـشـافـ الرـؤـىـ الـفـلـسـفـيـةـ -ـ السـيـاسـيـةـ السـيـنـيـوـيـةـ، وـدـقـقـنـاـ فـيـمـاـ تـحـوـيـهـ مـنـ مـصـطـلـحـاتـ حـضـارـيـةـ وـسـيـاسـيـةـ وـمـعـرـفـيـةـ مـثـلـ الـعـقـلـ، وـالـنـفـسـ الـنـاطـقةـ، وـالـنـبـوـةـ، وـالـعـدـلـ، وـالـظـلـمـ، وـالـمـدـيـنـةـ، وـالـتـدـبـيرـ، وـالـمـدـبـرـ، وـالـشـارـعـ، وـالـسـانـ، وـخـلـيـفـةـ اللـهـ، وـالـإـمـامـ، وـالـمـشـارـكـةـ، وـالـتـعـاـونـ، وـالـلـحـيـرـ، وـالـعـنـايـةـ، وـالـسـائـسـ، وـالـدـيمـقـراـطـيـةـ، وـالـسـيـاسـةـ، وـالـرـيـاسـةـ، وـحـسـنـ الـإـيـالـةـ وـأـمـشـالـ ذـلـكـ...ـ إـذـاـ مـاـ قـمـنـاـ بـذـلـكـ كـلـهـ فـسـوـفـ نـعـثـرـ بـالـتـأـكـيدـ عـلـىـ مـنـظـومـةـ فـلـسـفـيـةـ سـيـاسـيـةـ سـيـنـيـوـيـةـ.

٥- إطار علم المنطق

مـنـ أـهـمـ أـشـكـالـ التـنـاـوـلـ السـيـنـيـوـيـ لـمـوـضـعـ الـسـيـاسـةـ مـصـنـفـاتـهـ فـيـ عـلـمـ الـمـنـطقـ، سـيـمـاـ فـنـيـ الـخـطـابـ وـالـجـدـلـ مـنـهـ .ـ وـ مـنـ أـنـوـذـجـهـ مـاعـنـونـ ابنـ سـيـنـاـ تـحـتـ عنـوانـ "ـأـصـنـافـ الـسـيـاسـاتـ"ـ ضـمـنـ مـبـحـثـ الـمـشـورـيـاتـ مـنـ فـنـ الـخـطـابـ فـيـ كـتـابـ الشـفـاـ، وـلـكـنـ يـحـتـاجـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ إـلـىـ مـقـالـةـ مـفـرـدةـ مـسـتـقـلـةـ.

وـمـاـ يـبـغـيـ -ـ ضـرـورـةـ -ـ إـعادـةـ التـذـكـيرـ بـهـ مـجـلـدـ، هوـ أـنـاـ مـلـزـمـونـ بـقـرـاءـةـ مـنـهـاجـيـةـ بـحـثـ ابنـ سـيـنـاـ فـيـ الـمـوـضـوعـاتـ السـيـاسـيـةـ وـمـفـاهـيمـ الـسـيـاسـةـ حـتـىـ تـمـكـنـ -ـ عـبـرـ ذـلـكـ -ـ مـنـ فـهـمـ فـلـسـفـهـ وـفـكـرـهـ السـيـاسـيـينـ، فـقـدـ أـبـدـىـ ابنـ سـيـنـاـ الـمـبـاحـثـ الـمـتـعـلـقـةـ بـالـسـيـاسـةـ وـالـأـخـلـاقـ ضـمـنـ الـأـشـكـالـ وـالـأـطـرـ وـالـأـسـالـيـبـ الـخـمـسـةـ الـمـذـكـورـةـ مـاـ أـوـضـحـنـاهـ آـنـفـاـ، وـعـدـ الـاـلـتـفـاتـ إـلـىـ كـيـفـيـةـ تـوـزـعـ الـبـحـوـثـ السـيـاسـيـةـ فـيـ مـجـمـوعـهـ أـعـمـالـ ابنـ سـيـنـاـ بـيـؤـدـيـ إـلـىـ عـجـزـنـاـ عـنـ وـعـيـ فـلـسـفـهـ السـيـاسـيـةـ، نـعـمـ،



الهوامش

- ١٢٨ - السيد محمدخاتمي، طهران، طرح نو، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠ م.
- ٤ - سنت عقلانی اسلامی در ایران، مصدر سابق: ١٣٢.
- ٥ - راجع: آین و اندیشه در دام خودکامگی (سیری در اندیشه سیاسی مسلمانان در فراز و فرود تمدن اسلامی): ١٢٨ ، السيد محمدخاتمي، طهران، طرح نو، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠ م.
- ٦ - سنت عقلانی اسلامی در ایران، مصدر سابق: ١٣٢.
- ٧ - راجع: تسع رسائل في الحكمه والطبيعيات، رسالة الطبيعيات من عيون الحكمه: ٢، طبعة بومبایي، الـهند، مطبعة كلزار حسني، ١٣١٨ هـ.ق.
- ٨ - الشفاء: ١١: المدخل، طبعة أوفست عن مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى، قم، عن طبعة القاهرة، ١٩٥٢ م.
- ٩ - راجع : الدكتور ذبيح الله صفاء تاريخ علوم عقلی در تمدن إسلامی: ١: ٢٣٠ ، انتشارات دانشگاه طهران، الطبعة الخامسة، ١٩٩٥ م.
- ١٠ - راجع: إلهیات الشفاء، مصدر سابق: ٤٥٥.
- ١١ - راجع: تسع رسائل في الحكمه والطبيعيات (رسالة في أقسام العلوم العقلية): ٧٧.
- ١٢ - راجع: إلهیات الشفاء: ٣-٤، وأيضاً: الشفاء، قسم المنطق ١ (المدخل): ١٠، ١٢، ١٣، ١٤.
- ١٣ - راجع : تسع رسائل في الحكمه و الطبيعيات (الطبعيات من عيون الحكمه) ٢ ، طبعة بومبایي، الـهند، مطبعة گلزار حسني، ١٣١٨ هـ.ق.
- ١٤ - راجع: الشفاء (إلهیات)، مصدر سابق: ٤٥٤.
- ١٥ - تسع رسائل في الحكمه و الطبيعيات (رسالة في أقسام العلوم العقلية): ٦٨ .
- ١٦ - من بينهم الدكتور السيد جواد الطباطبائي في كتابه: ((زوال اندیشه سیاسی در ایران)), و الدكتور داود فیرحی
- ١ - راجع: سه حکیم مسلمان (ثلاثة حكماء مسلمين): ٩ وما بعد، الدكتور السيد حسين نصر، ترجمة أحمد آرام، طهران، شرکت سهامی کتاب های جیبی، ١٣٧١ ش ١٩٩٢ م، الطبعة الخامسة.
- ٢ - يعدّ الدكتور السيد جواد الطباطبائي إحدى الشخصيات التي عنيت بالفلسفة السياسية لابن سينا، مصنفًا في ذلك بعض النتاج المدون، حيث أفرد لها - خصوصاً - الصفحات ١٨٩ - ١٩٩ من كتابه ((زوال اندیشه سیاسی در ایران)), وكانت له إشارات مقتضبة في كتابه الآخر ((در آمدي فلسفی بر تاریخ اندیشه سیاسی در ایران)), كذلك الحال مع الدكتور داود فیرحی في كتابه ((قدرت، دانش، ومشروعیت در إسلام)) حيث سجّل بحثاً جيداً نسبياً، غایة الأمر أنّ الشخصيتين المذرتين المشار إليهما لم توفقَا لكشف الواقع تماماً، بسبب عناصر لا مجال لذكرها هنا، وقد توصلًا إلى نتائج تبعث القارئ على الحيرة والضياع.
- في الجانب العربي، قدم الباحث العربي المعروف الدكتور رضوان السيد في كتابه ((الأمة والجماعة والسلطة)) من الصفحة ٢٠٣ وما بعد، قدم دراسة جيدة تحتوي على جوانب من الإفادة، كذلك ما قام به أحد الباحثين العرب الآخرين في تحقيقه رسالة (السياسة) لابن سينا مرفقة برسالتين أخرىتين تحملان الاسم نفسه لأبي نصر الفارابي وأبي القاسم المغربي ثم نشرها، كما كتب في مقدمة السياسة لابن سينا جملةً من الموضوعات التي تتصل بالفکر السياسي عنده، وهكذا الحال مع محمد يوسف موسى، إذ كتب مقالةً تحت عنوان: الناحية الاجتماعية والسياسية لابن سينا، وهي المقالة التي جعلها رضوان السيد أحد مصادر كتابه، إلا أنّي لم أعثر عليها حتى الآن، والجدير ذكره وجود مقالات أخرى في المصادر الفارسية والعربية باللغة الصغر والاختصار.
- ٣ - راجع: آین و اندیشه در دام خودکامگی (سیری در اندیشه سیاسی مسلمانان در فراز و فرود تمدن اسلامی):

- . ٣٠ - المصدر نفسه: ١٧-١٨.
- . ٣١ - منطق المشرقيين، مصدر سابق: ٤.
- . ٣٢ - منطق المشرقيين، مصدر سابق: ٨.
- ٣٣ - راجع: الإشارات و التنبيهات، مصدر سابق: ٣-٣١٦ . ٣٧٤
- ٣٤ - راجع المصدر نفسه: ٣ ٣٣٤ و ما بعد، تحت عنوان: النمط الثامن في البهجة و السعادة.
- . ٣٥ - راجع : المصدر نفسه: ٣٧١ - ٣٧٤
- ٣٦ - إن تعبير العرفان و السلطة الرائع و الجميل، من إبداعات الأستاذ الدكتور السيد مصطفى محقق داماد، أيدعه لشرح علاقة العرفان بالسياسة، و يعد الفلاسفة العرفاء من امثال ابن سينا و السهروردي من رواد هذا الميدان المعرفي، لمزيد من المراجعة لآثار الدكتور علي أصغر محمد خاني و حسن سيد عرب، طهران ، انتشارات فرزان، ١٩٩٨ . م
- ٣٧ - الإشارات و التنبيهات: ٣: ٣٦٨-٣٦٨، لمزيد من الإطلاع حول هذه الرسالة و ترجمتها، راجع : رمز و داستهایی رمزي در ادب فارسي: ٤٤٠ - ٤٤٤ ، تقی پور نامداريان، طهران، انتشارات علمي و فرهنگي، ١٩٩٦ م، الطبعة الرابعة.
- ٣٨ - راجع: حي بن يقطان، نصوص أربعة و مبدعوها: ٤٧ ، الدكتور يوسف زيدان، بيروت، دار الأمين، ١٤١٩ م.ق.
- في أطروحة الدكتوراه التي طبعها تحت عنوان: ((قدرت، دانش، و مشروعية در إسلام)).
- ١٧ - راجع: إلهيات الشفاء، مصدر سابق: ٤٥٤ و ٤٥٥ . ٤٩
- ١٨ - راجع: المباحثات، مصدر سابق: ٥٠ - ٥.
- . ١٩ - منطق المشرقيين، مصدر سابق: ٤.
- . ٢٠ - المصدر نفسه: ٥.
- . ٢١ - المصدر نفسه: ٧.
- . ٢٢ - المصدر نفسه.
- . ٢٣ - منطق المشرقيين، مصدر سابق: ٦-٩.
- . ٢٤ - إلهيات الشفاء مصدر سابق: ٤٥٤ . ٤٥٤
- . ٢٥ - منطق المشرقيين، مصدر سابق: ٧.
- . ٢٦ - يقول الفارابي: و أما الأعمال التي يعملها الفيلسوف فهي التشبه بالخالق بقدر طاقة الإنسان، المنطقيات للفارابي ١:
- . ٦ - تنظيم وإعداد: محمدتقى دانش پژوه و السيد محمود المرعشى، طبعة قم، مكتبة آية الله المرعشى النجفى، ١٤٠٨ م.ق.
- . ٢٧ - الشفاء الإلهيات، مصدر سابق: ٤٥٥ . ٤٥٥
- ٢٨ - راجع: الإشارات و التنبيهات: ٣: ٣٧١ ، أبو علي حسين بن عبدالله بن سينا، قم ، نشر البلاغة، ١٩٩٦ م، الطبعة الأولى.
- ٢٩ - إلهيات الشفاء، مصدر سابق: ١٧ . ١٧

روش ابن سینا در فلسفه سیاسی و مبانی آن

ابوالفضل شکوری راد^۱

تاریخ پذیرش: ۹/۱/۱۳۸۴

تاریخ دریافت: ۹/۳/۱۳۸۴

ابو علی حسین ابن عبدالله ابن سینا (۴۲۸-۳۷۰ ه. ق) یکی از بزرگترین فیلسوفان دنیای اسلام بلکه همه جهان است. وی دارای دستگاه فلسفی استوار و کاملی می‌باشد. همچنین وی دارای مشرب و مکاتب ویژه‌ای در حکمت عملی و فلسفی سیاسی است. که متأسفانه بیشتر پژوهشگران از این مسأله غفلت کرده و پنداشته‌اند که او فاقد فلسفه سیاسی ویژه است و در این باره بسی سخن به گزارف گفته‌اند.

این غفلت پژوهشگران از این مسأله نشأت گرفته است که آنان به روش ویژه ابن سینا در پژوهش مباحث فلسفه سیاسی و مبانی خاص آن توجه نکرده و وقوف نداشته‌اند. این نوشتار بر آن است که روش ویژه مغفول و مجھول مانده ابن سینا در فلسفه سیاسی را پژوهش نموده و از آن پرده‌برداری کند.

واژگان کلیدی: ابن سینا، فلسفه سیاسی، دستگاه فلسفی، روش ابن سینا، مبانی ابن سینا در فلسفه سیاسی